

## الجرد الوطني للتراث الثقافي الأمازيغي

بطاقة جرد عنصر رقم 7/011

### 1- تحديد العنصر

- اسم العنصر

حرفة السّمار

### - أسماء أخرى متداولة في المجتمع المحلي

الصّمار

### - الإطار الجغرافي لانتشار العنصر

اشتهرت حرفة السّمار في كثير من البلاد العربية على غرار المغرب و الجزائر و ليبيا و مصر و عمان وغيرها. اما في تونس فتنسب هذه الممارسة لعديد المناطق كالوطن القبلي و جهة بنزرت و منطقة المطوية بالجنوب الشرقي التونسي حيث تعتبر من أهم النشاطات التي عرفت بها المدينة الواقعة جنوب مدينة قابس و تحديدا بمنطقة "لماية القديمة".

و تتميز مدينة المطوية بجودة السلال المصنوعة من مادة السمار الصلبة نسبيا مقارنة بجهات اخرى كمدينة نابل مثلا حيث يستعمل السمار اللين . و تروى ذاكرا اهالي المطوية رواية شفوية حول انتشار حرفة السمار بالجهة لتثمينها و إعطائها طابعا قدسيا حيث تنسبها لرجل علم و دين يدعى "احمد" قدم من منطقة "تاجوراء" الليبية و مكث في جزيرة جربة ثم استقر بالمطوية و اندمج مع سكانها. و نظرا للمكانة الرمزية التي كان يتمتع بها بين الاهالي منح مسكنا و أرض مقابل تعليمهم القرآن و علوم الفقه. و لكي يكسب قوت يومه جمع الرجل بعضا من نبتة السمار من الأودية المجاورة و صنع بعض الحصر و علم الاهالي فنون الممارسة. و بعد وفاته شيّدت له زاوية سميت باسمه تعرف بزاوية سيدي احمد التاجوري .

### - مجال أو مجالات انتماء العنصر

المهارات المرتبطة بالحرف التقليدية

### 2- وصف العنصر

- الوصف التفصيلي

يفسر ازدهار واستمرار هذه الحرفة بتوفر المادة الأولية "السمار" وهو من جنس النباتات العشبية دقيقة وطويلة الأغصان في عديد المناطق من ولاية قابس منها: وادي "العكاريت"، "وادي المالح" و"وادي تبلبو" وغيرها. و"السمار" هو من النباتات الطفيلية التي يرتبط توفرها بنزول الأمطار، ففي فصل الربيع من كل سنة يقوم الحرفيون بجمع ما يفي بحاجياتهم لسنة كاملة، ثم توضع هذه المادة تحت أشعة الشمس حتى تجف و يصفر لونها و بعد ذلك تغمس في الماء ليلة كاملة حتى يسهل فيما بعد تطويعها. و إضافة للون "السمار" الطبيعي- اللون الأصفر يقوم الحرفي بصبغ جزء من هذه المادة بعدديد الألوان الأخرى التي تضيفي على المنتج فيما بعد جمالا و روعة.

تعتمد هذه الحرفة النول الأفقي الذي يصمم حسب حجم ومقاساة القطعة المراد نسجها، فتبسط فوق النول خيوط "السداية" (من البلاستيك) المتكونة من مطواتي حياكة مستطيلة الشكل من الخشب أو من الحديد. و تمرر الخيوط داخل طوقا من الخشب يحتوي عديد الثقب يسمى "مشط". و لصنع "حصيرة" أو قفة مثلا يتطلب تمرير السمار زوجين بين خيوط السدى. وتتخلل كل تمريرة جذب المشط كي تلتحم المادة مع بعضها البعض وذلك لحين انتهاء الحرفي من إنجاز منتوجه وفقا لمقاساة معلومة. فتتراوح حركاته بين تمرير السمار بين خيوط "المسدي" وجذب المشط بين الفينة و الأخرى.

وتكمن اهمية الصنعة في المخيال الجمعي للمجتمع المحلي من خلال ذكرها في الشعر الشعبي حيث شبّهت آلة النول بالمرأة الحبلى و رصدت حركات اليد الصانعة بما يعكس بعض التفاصيل عن تقنيات العمل المرتبطة بها:

حبلى وسمراء ومشبيها بالردّة ومشط الهوى ما بين رفعه وردّة

يصنع من السمار خاصّة السلال و السجاجيد والحصر التي تعدّ من التجهيزات الضرورية للمساجد إضافة لعديد الابتكارات الأخرى كالحقائب اليدوية و أسرة الرضع وصالونات قاعات الجلوس وستائر النوافذ إلى جانب تجهيز بعض مستلزمات النزل باستخدام مادة السمار وتطوير منتجاتها بإضافة مواد مركبة على غرار الجلد وسعف الجريد والنحاس والحريير وغيره.

#### - العناصر الماديّة واللاماديّة المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها ( الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)

لا تحتاج صناعة السمار إلى أدوات مادية أو رمزية خاصّة، فيكفي توفرّ المادة و بعض خيوط "البلاستيك" ومقص وآلة النول الأفقي وأداة قياس (المتر)، حتى تشرع المرأة في حياكة حصير أو سلة بحسب الطلب، فتدخل في سلسلة من الحركات المتواترة و المنتظمة. أمّا عن موضع النول فيرتبط برغبة الحرفي أو الحرفية اذ يمكن ان يوضع في سقيفة المنزل أو في غرفة من الغرف أو في الهواء الطلق.

#### - الممارسات العرفية التي تنظم أو تمنع الوصول إلى العنصر

لا توجد ممارسات أو إجراءات من هذا القبيل.

#### - كيفية التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنّاشئة

كان تعليم صناعة السمار حتى الأمس القريب يتم داخل أسوار البيت باعتباره جزءا لا يتجزأ من التنشئة الاجتماعية، ذلك أن المجتمع المحليّ يشجع المرأة خاصة و بدرجة اقل الرجل على تعلم هذا الفن الحرفي. فتلقن الأم ابنتها كل ما تعلمته هي بدورها من أمها من معارف دون أن تستند عند الممارسة إلى صور أو نماذج أو نقل تقوم بمحاكاتها بل على التذكر: تذكر كل ما تعلمته من أمها منذ نعومة أظافرها. و من اللافت اليوم انتشارا للحرفة في مناطق مجاورة لمدينة المطوية كمنطقتي "الميدة" و "العمارات"

حيث عمدت احدي الحرفيات الى تكوين عديد الفتيات (60 فتاة). كما تشهد الحرفة تنوعا في المنتجات و في وظائفها حيث تصنع من السمار السلال و قاعات الجلوس وتحفا لتجميل صالونات المنازل و غيرها.

### 3- الفاعلون المعنيون بالعنصر

- حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر

يعنى بهذا العنصر كل الحرفيين الذين يباشرون بأنفسهم هذه المهارة في مختلف مراحلها و يبلغ عددهم بالمطوية حوالي 5 رجال و 120 امرأة، بالإضافة إلى 60 حرفية موزعة بين منطقتي الميدة و العمارات.

### - مشاركون آخرون

بعض المزودين بالمادة الأولية (تنبطة السّمار).

### - منظمات غير حكومية/ المجتمع المدني

جمعية نخوة للمرأة و الأسرة، مهرجان العين بالمطوية، الغرفة الفتية العالمية (فرع المطوية)، و الجمعية العامة القاصرين عن الحركة العضوية بالمطوية.

### - هيئات رسمية

- بلدية المطوية
- دار الثقافة بالمطوية
- دار الشباب بالمطوية
- المدارس الابتدائية بالمطوية
- نادي الاطفال بالمطوية
- المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بقابس
- المندوبية الجهوية للصناعات التقليدية بقابس
- مركز التكوين و التدريب في الصناعات التقليدية
- ولاية قابس
- المعهد الوطني للتراث
- الديوان الوطني للصناعات التقليدية

### 4- مدى قابلية العنصر للاستمرار: العراقيل و التهديدات

رغم أهمية المردود المادي لهذه الحرفة المنزلية تواجه الحرفيات في المطوية عديد التهديدات لعلّ أبرزها:

- عدم استقرار سعر مادة السمار التي يتم جلبها حاليا من قبلي و استغلال المحتكرين لهذه المادة و التحكم في توزيعها.
- عدم توفر المواد الأولية بالكميات المطلوبة
- محدودية فضاءات ترويج المنتج و عدم توفر نقاط بيع في المنطقة.
- عدم توفر التشجيعات المالية.
- انعدام مركز لتدريب الشبان في هذا المجال.
- انخفاض عدد الفتيات اللاتي يقبلن على هذه الممارسة نظرا لارتفاع نسبة التمدرس الذي فتح أمامهن فرص عمل أكثر دخلا.

## 5- برامج التثمين وإجراءات الصّون

بالرجوع إلى أعمال بعض الباحثين والمستشرقين الذين تناولوا ولاية قابس بالدرس لم نجد ذكرا مفصلا للعنصر باستثناء "جاك ريفو" الذي أشار إلى وجود صناعة السمار في منطقة المطوية وأيضا في عديد المناطق الأخرى من البلاد التونسية (نابل، مكنين، حومة السوق...)

حظي العنصر باهتمام لافت خاصة منذ تسعينات القرن الماضي حيث شجع الديوان الوطني للصناعات التقليدية الحرفيات على الاعتناء بصناعة السّمار من خلال اسناد قروض صغرى لبعض الحرفيات و خلق فرص ترويج المنتج من خلال المشاركة في المعارض الجهوية و الوطنية. كما يمكن التتويه بدور مركز التكوين و التدريب في الصناعات التقليدية بقابس بتكوين بعض الشبان في هذا المجال و تمكينهم من الحصول على بطاقة مهنية بعد اجتيازهم لدورات اثبات الكفاءة المهنية. كما قام المركز ببعث ورشة الألياف النباتية كالحفاء والسعف والسمار، يتردد عليها عديد خريجي المعهد العالي للفنون والحرف بقابس مما من شأنه تطوير المنتجات بتصاميم محدثة.

تواصلت مجهودات الاهتمام و الإلمام بالمعارف المرتبطة بالعنصر ضمن إطار مشروع " الحرف التقليدية" حيث قام فريق من المعهد الوطني للتراث سنة 2008 بتوثيق مفصل وشامل لعنصر السمار اليدوي في جهة قابس .

كما أن تجربة هذه الممارسة بالوسط المدرسي وجدت اقبالا من طرف عدد من تلاميذ مدرسة شارع الحبيب بورقيبة الابتدائية بالمطوية حيث تم تركيز ناد للصناعات التقليدية تشرف عليه حرفة متطوعة .

وفضلا عن برامج الهياكل الرسمية الجهوية والمحلية، سيما دار الثقافة ودار الشباب و المكتبة العمومية و نادي الأطفال بالمطوية التي ما فتئت تنظم التظاهرات و المعارض للتعريف بالعنصر وبالمكانة التي يحتلها في تراث المنطقة ، تبدي بعض الجمعيات اهتماما كبيرا بهذه الممارسة على غرار جمعية نخوة للمرأة والأسرة بالمطوية التي تعمل على استدامة العنصر وخلق فرص الترويج من ذلك تخصيص فضاء لعرض إبداعات ومنتجات المرأة في شتى المجالات وتشجيع الحرفيات على بعث هيكل يوحد جهودهن على غرار تعاقدية خدمات أو مجمع للتسويق والترويج .

وفي باب تثمين مكانة السّمار في ذاكرة اهالي المطوية و التعريف به سواء على الصعيد المحلي أو على الصعيدين الجهوي والوطني، يمكن الاشادة بالدور الذي كان يلعبه مهرجان العين بالمطوية في تثمين العنصر علما وانه ينتظم في أواخر شهر جويلية من كل سنة ( توقف عن النشاط منذ سنتين تقريبا).

## 6- التوثيق الفوتوغرافي للعنصر



صورة 2 : تمرير السمار بين خيوط النول



صورة 1 : سمار طبيعي و آخر ملون



صورة 4: سلة في طور الإنجاز



صورة 3: جذب المشط بعد تمرير السمار حتى يلتحم مع بعضه البعض



صورة 6: حضور المنتج في سوق قابس العتيقة



صورة 5: بساطة الآلة المستعملة في حرفة "السمار"



صورة 8: حضور العنصر في التظاهرات الثقافية المحلية



صورة 7: بعض السلال جاهزة



## 7- هوية الشخوص المرجعية المعتمدة في استيقاء البيانات

اتخذت عمليات جرد العنصر شكل المقابلة المباشرة التي مكنتنا من التحوار مع بعض الحرفيات اللاتي ينشطن بصفة مستمرة في القطاع وأيضا مع رئيسة جمعية نخوة للمرأة و الأسرة السيدة نزيهة الدريدي. ونشير أن البيانات الأساسية وردت على ألسن الآتي ذكرهن:  
- نزيهة الدريدي 46 سنة  
- ناجية كريم 65 س

## 8- المصادر والمراجع - المكتوبة

- Revault (Jacques) ; Arts traditionnels en Tunisie ; publications de l'office national de l'artisanat de Tunisie ; 1967 ; p53

- رياض بالزاوية، مشروع تطوير العرض المتحفي بمتحف العادات والتقاليد الشعبية بقابس، رسالة بحث لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العالم المتوسطي و حضارته، كلية الآداب منوبة، 2006-2007 ، 136ص  
- مقال صادر عن جريدة الشروق من اعداد البشير الرقيقي بعنوان "«السمار» محور يوم دراسي بالمطوية" ، بتاريخ 17 - 06 - 2012

## - السّميّة البصريّة

تقرير أعدته القناة الوطنية الاولى في 5 جويلية 2012 :  
[https://www.youtube.com/watch?v=J\\_dqTdqJcNs](https://www.youtube.com/watch?v=J_dqTdqJcNs)

## - المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصّة

من اللافت غياب مجموعات السمار بمتحف العادات و التقاليد الشعبية بقابس ، غير ان العنصر لا يزال حاضرا في اغلب منازل جهة قابس وخاصة السلال المصنوعة من هذه المادة نظرا لاستعمالها اليومي من قبل اهالي الجهة.

## 9- معطيات تقنية حول عملية الجرد - تاريخ البحث الميداني ومكانه

- أول عمل ميداني منجز حول العنصر بمدينة المطوية كان في صائفة سنة 2005 ضمن إطار إعداد رسالة بحث لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العالم المتوسطي و حضارته .  
- ثاني عمل ميداني في جانفي 2008 ضمن إطار مشروع " الحرف التقليدية" الذي عهد إلى المعهد الوطني للتراث.  
- ثالث عمل ميداني أنجز في 5 مارس 2017 قصد الإمام ببعض المستجدات حول العنصر.

## - جامع أوجامعو المادّة الميدانيّة

- رياض بالزاوية، 47 سنة، محافظ تراث بالمعهد الوطني للتراث، الهاتف: 97150580  
- البشير المنوبي، 62 سنة، أستاذ تعليم ثانوي (اختصاص تاريخ) متقاعد، ورئيس جمعية دار المرقوم بوذرف، الهاتف 98514914

- نزيهة الدريدي 44 سنة ، استاذة و رئيسة جمعية نخوة للمرأة و الاسرة بالمطوية .الهاتف 53321184

- تاريخ إدخال بيانات الجرد

الاحد 12 مارس 2017.

- محرر البطاقة

رياض بالزاوية